

الحديث السامي لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى " إلى الشباب.. نداء القلب والعقل "

حان الوقت للانتقال من ترديد المقولات النظرية بشأن مكانة الشباب وأهميتهم البالغة في مجتمعاتنا باعتبارهم نصف الحاضر وكل المستقبل - وهي مقولات صحيحة تماماً - إلى مباشرة ما يمكن أن نعمله ونقدمه لهم من خطط وبرامج عملية تركز على معالجة مختلف المشكلات ، والاحتياجات التي يحسون بها ، واستطلاع الامكانيات والآفاق المتاحة في عصرنا للأجيال الشابة، وكيف يمكن أن نساعدهم على اقتناصها وارتياحها بالتربية والتعليم والتدريب في مشروع متكامل، وفي تقديرنا فإن أي نظام تربوي وتدريبى لن يستطيع مواكبة حركة العصر مع تحصين هوية الأمة إلا إذا أقيم على الأسس التالية:

أولاً: تربية النشء على ثوابت الهوية الحضارية لتراثه الإسلامى السمع ، وعروبته المنفتحة على الجميع ، وكيانه الوطنى البحرى كمنوذج إنسانى نعتز به للتعايش والتسامح والتحاور الذى لم يتوقف فى البحرى باعتبارها منارة إشعاع فى خدمة جوارها الحىوى ، و بما يرسخ الولاء الوطنى لى أجيالنا الشابة .

ثانياً: وانطلاقاً من هذه الثوابت ، تزويد النشء بمبادئ ثقافة عامة فى التطور الحضارى للإنسانية وأهم منطلقاته ، بما يزرع التفكير العلمى والعقلى السليم لى الشباب ويُعزز نضجه السياسى ، وهو زاد عقلانى وتوويرى لا غنى عنه لمن يواجه حاضر العالم ومستقبله ، فمن أوجب الأولويات تحديث العقول فى هذه المرحلة ، وعدم الاقتصار على التحديث المادى . فالمام النشء بتقنية المعلومات حتمى ، ولكن لا بد من موازنته بثقافة فى الإنسانىات ، لىملك توليفة الإبداع بين العلوم والآداب اللازمة لنجاح أى مشروع لتطوير الحىاة . كما أن انشطار العقل بين التكنولوجيا وفراغ الفكر لا تؤتمن عواقبه .

ثالثاً: الإعداد المهنى المتقدم والمجزى ، والذى لا يستلزم بالضرورة الدراسة الجامعية إلا للمستعدين لها ، وذلك لتلبية الطلب فى سوق العمل الذى أصبحت مخرجات التربية فى العالم المتقدم تضعه فى مقدمة أهدافها .

هذه هى المهمة الأساسية التى كلفنا بها المختصون فى حكومتنا وجميع المسئولين عن القطاعات الشبابية سواء فى التربية، أو سوق العمل، أو الحىاة الرياضىة، أو ميدان الإعداد السياسى الديمقراطى الذى لا نريد أن يبقى شبابنا بمنأى عنه، حىث نؤمن بقوة أن سلامة أداء مؤسساتنا الدستورية ومنظمات مجتمعنا المبنى تعتمد على المشاركة الإيجابية للشباب الناضج والمسؤول كدماء جديدة وطاقات وطنية مخصصة إلى جانب خبرات المجرىين فى مسيرة البناء الوطنى، وذلك ما استنه دستور مملكة البحرى بإنشاء

مجلسي النواب والشورى للجمع بين تطلعات الشباب وخبرات آبائهم بما يتيح للوطن والشعب الاستفادة المثلى من دمج الحماسة بالخبرة، والأفكار الجديدة بالتجربة المتراكمة، وهو ما سعت وتسعى إليه كافة المجتمعات والدول المتقدمة لبناء مستقبلها الأفضل .

لا بد من تعبئة الشباب لمثل هذه الغاية الوطنية الشاملة ، وذلك للحيلولة دون استغلالهم وقوداً للمصالح والأغراض في تجارب مريرة يحفل بها التاريخ القديم والحديث ، فليس أبرأ من الشباب الغض في الاندفاع من أجل مبادئ العدالة والحرية والحق ، والتضحية من أجلها ، فلنجعل اندفاعه البريء والمخلص من أجل هذه المبادئ السامية اندفاعاً مثمراً من أجل وطنه ومستقبله ، فوق كل شيء . وتجمع الدراسات المختصة على أن الشباب في سن المراهقة تمتلكه الرغبة في التمرد والإضرار بالغير ، ما لم يعامل بأقصى درجات التفهم والحزم المتعاطف، أما إذا تم استغلال هذه النزعة لديه لأغراض غير أمينة ، فإن المتضرر الأول هو الشاب نفسه في تعليمه ومستقبله بما يدمي قلب والديه وأهله، ويضر بالشعب والمشروعات الهادفة إلى تحسين مستوى معيشتهم ، وبالوطن والخطط الموضوعية من أجل تنميته وتقدمه. وليس أصعب على النفس من توقيف شاب بعيداً عن أسرته أو مدرسته ، وطالما لجأنا إلى نهج العفو لتحاشي ذلك، ولكن القانون سياج الحرية ، وإذا انتهك القانون فالحرية في خطر، نعني حرية الشعب بأكمله ، وذلك ما لا يمكن التراخي فيه ، ومن أهم مفاهيم التنقيف السياسي لشبابنا ترسيخ هذا المفهوم لديهم صوتاً لديمقراطيتنا ذاتها وصوتاً لمستقبلنا. ويتصل بهذا المفهوم اتصالاً وثيقاً ، بل ويتكامل معه، ما ينبغي أن تتعاون عليه المدرسة مع البيت للارتقاء بالتنقيف المدني ، ونعني به ترسيخ السلوكيات المدنية وقيمها من حيث تعويد النشء على الانضباط والتقييد بالنظام العام وقواعد المرور على سبيل المثال في مختلف المواضع ، وكذلك المحافظة على سلامة المرافق العامة من مؤسسات وممتلكات وحدائق وإنارة. فبمثل هذه السلوكيات يحكم على تقدم الشعوب ورفقيها ونصيبيها من التمدن. وقد قطع مجتمعنا المدني البحريني شوطاً بعيداً في تمثّل ذلك منذ بداية نهضته الحديثة، وعلينا بذل المزيد من أجل تنشئة أجيالنا الشابة على التقيد بلوازم هذا السلوك المتحضر الذي لا غنى عنه لأي بلد يريد أن تكون له مكانة في العالم المتقدم.

وعبر تراث البحرين التاريخي ، نجد أن الشباب المسلم كان رصيد الدعوة الإسلامية التي قبلتها البحرين طوعاً وسلاماً منذ العهد النبوي الكريم ، كما كان بذور الخير والعتاء في العصور الإسلامية الأولى وكان مؤشراً على وعي متجدد أن تتضمن إستراتيجيتنا الوطنية للشباب ٥٠٠٢ - ٩٠٠٢ المناداة بـ (استعادة الدور التنويري الريادي للمسجد في الإسلام كمكان للعبادة ونشر الوعي والعلم) ونضيف إلى ذلك: مع الحرص على تنزيهه عن الأغراض السياسية الحزبية والشخصية المناقضة لجوهر رسالته .

وعندما تعرضت البلاد للاستعمار الأجنبي ، منذ الغزو البرتغالي ، هب الشباب للدفاع عن وطنه وتحريره من التحكم الغريب بكل أنواعه ومن أي جهة كان ، وصدق الله

تعالى حيث يقول «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» وصولاً إلى حركات النضال الوطني المشرف في القرن العشرين والتي نتوجت بإجماع شعب البحرين في مدنه وقراه، على استقلال البلاد وعروبته في ظل نظامها الخلفي الشرعي الذي وفقنا الله، بدعم شعبنا وتأييده ، إلى تشييد صرح الدولة العصرية في مرحلة الملكية الدستورية التي ترسخت ببيعة الاستفتاء الشعبي العام على (الميثاق الوطني) الذي نتج عنه دستور مملكة البحرين المحدث.

وعبر هذا التطور النضالي ، الوطني والدستوري ، كان شبابنا بإرادته الوطنية الحرة، يواجه ويتجاوز مؤثرات الولاءات الخارجية الأيديولوجية التي طبعت معظم العقود في القرن المنصرم ، وأصبحنا اليوم أمام استحقاق الولاء الوطني الذي لا خيار أمامنا غيره ، من أجل بناء بحرين الغد ، لكل بحريني وبحرينية.

وقد كان شبابنا إلى يوم قريب يعيش يومه ولحظته ، دون أفق واضح ، ولكن مشروعنا الإصلاحى الوطني اليوم قد فتح أمامه الطريق لصنع المستقبل الأفضل عبر قنوات من الجهد المنتج المؤدى إلى تزويده بالوعي والكفاءة، سواء في المجال المهني، أو في المجال العام ، مجال الخدمة الوطنية ، الذي يمكن أن يعدّه للمشاركة في الانتخابات ، عندما يتأهل قانونياً لها ، فيضع كفاءته وطاقته ، ليس من أجل بلده فحسب ، بل لتبوء المكانة القيادية التي يستحقها بتلك الكفاءة . وطالما أننا أسعد البلدان ، وأكثرها حظاً ، هي التي يشارك الشباب بإصرارهم على التجديد والتغيير ، إلى جانب الآباء المجريين، لأنهم يمثلون بذلك الرصيد والضمانة للتعامل مع تحديات المستقبل ، عندما تدق ساعة المسؤولية الكاملة، بكل ما تحمله من فرص. وهذا ما انتظره من شباب البحرين ولنا موعد قريب معه بحول الله لتسليمه المزيد من مسؤوليات القيادة في العمل والبناء الوطني ومجال الخدمة العامة.

وإذا كانت الشواهد الملموسة من إنجازات شبابنا البحريني، من الجنسين ، تقدم الدليل الحي على القدرات الكامنة في شباب وشابات هذا الوطن ، فإن لنا أن نستبشر خيراً بما يستطيع شبابنا أن يقدمه ويضيفه إلى منجزاته في مجال القيادة والخدمة الوطنية.

ففي المجال العلمي وما يرتبط به من بعوث إلى معاهد العلم المتقدمة العليا، نجد شبابنا في المقدمة ويثبتون من الطاقات العلمية ما يدفع تلك المعاهد إلى متابعة عطائه باهتمام بالغ لن يزيد على اهتمام وطنه به بإذن الله، وفي مجال الإنجازات الرياضية الدولية، فإن شباب البحرين فرقا وأفراداً ، صاروا يحتلون المراتب العليا أمام أنظار العالم ورغم شدة المنافسات الدولية في مختلف حقول الرياضة ، حيث تمتلك الدول الكبيرة مختلف الامكانيات اللا محدودة لدعم رياضيتها.

وعلى صعيد الوعي السياسي، فلقد وجدت شخصياً ان تجربة (برلمان الشباب) من تلفزيون البحرين ينبغي أن تشجع وأن تمد بالتفاؤل والأمل ليس العاملون في الحقل الشبابي فحسب، وإنما قيادات الدولة التي تعنى بمستقبل الشباب وتعزيز ولائه الوطني وتعظيم دوره في مسيرتنا السياسية الديمقراطية، فما ورد فيه من آراء نيرة، وبأسلوب متحضر هو موضع اعتزازنا بمدى الوعي الذي يمكن أن يصل إليه شبابنا البحريني من

البنين والبنات. وعلى صعيد آخر فقد سُررت بالتوجّه إلى توثيق قصص نجاح الشباب والشابات بالأفلام وغيرها في ميادين العمل لتصبح قدوة لجيلهم ومن سيأتي بعدهم فهذه النماذج المشعة في مجتمعنا البحريني ليست بالقليلة ، وما أجدرنا بتسجيلها وتأملها . ونحن نشاطر الرأي أكثر المواطنين أن شبابنا في هذا الزمن لم يعد يجد أمامه تلك المساحات والفضاءات المفتوحة ، في مدنه وقراه لينطلق فيها على سجيته ويزاول الألعاب والرياضات العفوية التي كان جيلنا ينفس من خلالها عن طاقاته الشبابية، وذلك بالنظر إلى الازدحام العمراني والمروري والتجاري الذي هو ضريبة التنمية والتحديث مثلما جرى لمعظم مجتمعات العالم ، وخاصةً عالم الدول النامية .

غير أننا ، ومنذ البداية قد فكرنا ملياً فيما يمكن أن نحققه للشباب في مناطقهم وأحيائهم من وسائل للترفيه البريء والرياضات النافعة ، وكان هذا من أهم أولوياتنا الإصلاحية في الحقل الاجتماعي وما زالت البرامج والخطط لتحقيقه موضع المتابعة والاهتمام والرعاية ليعم ذلك كل أنحاء البلاد، ويجد فيه شبابها ما يفتقدونه من فرص التسلية والانطلاق العفوي غير متغافلين عما يتعرض له البعض منهم من محاذير المخدرات وأشباهها ، وما تجلبه من آثار مدمرة على حياة الفرد والجماعة .

وعلينا ألا نتظاهر بخلو مجتمعنا من مثل هذه المشكلات الخطيرة التي تواجه الشباب، بل لا بد من اعتماد نهج المكاشفة والمصارحة والمقاربة العلمية في تشخيصها ووضع الحلول اللازمة لها. فبمثل هذا النهج الشفاف يعالج العالم المتقدم اليوم مختلف مشكلاته. أما تجاهلها فلن يزيدا إلا تعقيداً . كما أن ما يسميه الباحثون في شؤون الشباب بالفجوة بين الأجيال - والبعض يبالغ بتسميتها (صراع الأجيال) هي من الظواهر القائمة في الحياة أياً كان اسمها، وينبغي مراعاة أعراضها حفاظاً على التواصل مع شبابنا في الأسرة والمجتمع فلقد خُلِقوا لزمان غير زماننا، وهم أشبه بأزمانهم منهم بأبائهم كما تقول الحكمة الصائبة ، وقد تأثرت بالغ التأثير لما أظهره شبابنا من روح عالية في قمة (فيصل للشباب)، هذا الشاب الذي ترك لوطنه ذكراه الطيبة، واتفق معهم على أن لدى الشباب ما يعلمونه للكبار أحياناً .

ولا يقتصر اهتمامنا بالنسبة لنفسية شبابنا وشاباتنا على هذه الجوانب العملية ، التي لا بد منها بطبيعة الحال ، ولكننا ننظر إلى أبعد من ذلك وأعمق . فنحن حريصون كل الحرص على أن يشعر شباب البحرين بـ(فرح الحياة) الذي هو حق طبيعي لنفوسهم الغضة ، وأن تعود الابتسامة إلى وجوههم التي هي وجه المستقبل في بلادنا . ولن ندخر وسعاً من أجل نشر هذه الابتسامة المشرقة على وجه كل شاب بحريني وكل شابة بحرينية. ولا بد أن تشاركنا مختلف الفعاليات المؤثرة من آباء وأمهات ومدارس وجمعيات مدنية ومؤسسات مختصة من أجل هذه الابتسامة الغالية . ابتسامة المستقبل .

وفي الختام ، فنحن على ثقة ان أغلب شبابنا سائرون في الطريق الصحيح، وיעدون أنفسهم علمياً وعملياً لمسئوليات البناء في المستقبل القريب. وهذا القطاع الأكبر من شباب البحرين وشباباتهم هم رصيدنا الوطني الذي نعول عليه ، وهم ثروتنا الحقيقية التي لا يمكن أن نفرط فيها ، وسنحافظ عليها جميعاً بكل ما نستطيع ، وبكل ما أمدنا الله به من

قوة. وأيدينا، مع قلوبنا وعقولنا، ممدودة ومفتوحة لهم لنقرأ معهم وفيهم قصة المستقبل المشرق للبحرين.

ومن صميم نداء القلب والعقل هذا إلى شباب البحرين نتجه بالنصح المخلص إلى ذلك نفر من شبابنا وأبنائنا الذين يشعرون بالضيق ويستهوئهم نهج التطرف، ونقول لهم ان الله قد كرمنا برسالة الإسلام السامية لينقلنا من ضيق الدنيا إلى سعتها وإلى فسحة الأمل ، فأهلاً بكم أبناء أعزاء وفلذات أكباد في رحاب الوطن الفسيح لا يمكننا أن نفرط في أيّ أحد منكم.

وحقيقة الأمر أن كل ما بذرناه من بذور الخير والإصلاح في تربة البحرين خلال هذه الأعوام الفاصلة والحاسمة ، سوف يجني حصاده باذن الله جيل الشباب وثقتنا أنه سيجنيه حصاداً كاملاً ، فلمثل هذا فليعمل العاملون ، وليناضل المناضلون، ويدنا في أيديهم إلى الأمام .